«قضية التمويلات الأجنبية لمنظمات المجتمع المدني»، وتخرج من السجن بعد أن يطالبوها بالتنازل عن الجنسية المصرية وتضطر للعودة إلى أميركا مرة أخرى. في نهاية الحوار الذي حصل عبر البريد الإلكتروني، سألتها: «يرى بعضهم أنكِ شخصية خيالية؟ مجرد شخصية روائية لا تملكُ مصيرها استخدمها فشير للتعبير عن أفكاره. شخصية مهزومة ربما مثل شخصيات واقعية ساهمت في هزيمة الثورة؟». أرسلت ضحكاتها قبل أن تجيب: «أنا أتلقى الهزائم لكني لست شخصية انهزامية. بالعكس. أنا أرى النصر بعيني، لكنه في الأفق. أدركُ أني هزمت مع من هزموا. لأننا جماعة واحدة. لكني لست انهزامية إطلاقاً. بالعكس. تهمتي الأساسية أني متفائلة ومنبتة الصلة بالواقع. أما عن كوني شخصية خيالية. فلست أدري ما الفارق أن أكون خيالية أو حقيقية. هل «سي السيد» شخصية خيالية أم حقيقية؟ ماذا يبقى من الشخصيات الحقيقية غير الصورة والذكرى؟».

القاهرة ـ **محمد شعير**

مصر ستخرج من «كل هذا الهراء»

قبول الهزيمة. الهزيمة كالنصر بالضبط. وكي ينتصر طرف، يجب هزيمة طرف. وبالتالي يجب تقليل الدراما المصاحبة للهزيمة، وقبولها. ثالثاً يجب تقبل نتائج الهزيمة. الاستعباط والمكابرة والعند وهراء «رفض الهزيمة» هي حالة من إنكار الواقع لا تفيد صاحبها أبداً، مهما قال وحاول إعادة صياغة الموضوع. إذا خسرت، عليك دفع ثمن خسارتك، سواء أكان معك حق أم لا. وهذا معناه أن تعيد حسابات المستقبل اعتباراً من النقطة التي وصلت إليها لا من النقطة التي كنت واقفاً عندها قبل الهزيمة. لا يمكنك تغيير الماضي. قد يمكنك تغيير المستقبل، لكن الماضي مرّ وأوصلك إلى حيث تقف. ركز إذن على الخطوة القادمة من حيث تقف (لا من حيث تستحق الوقوف). وهذا هو مفتاح التعامل مع الهزيمة.

■ لماذا وافقت على اقتراح عمر بأن يكتب حكايتكما عز الدين فشير؟ كان مبرره أنه يرتبط بعلاقة صداقة بأبيه. هل كانت هذه المعرفة كافية أم لأنّ عز سبق أن كتب «باب الخروج» التي يتنبأ فيها بما جرى للثورة في ما بعد؟

لا أعرف فشير هذا، ولم أقرأ له من قبل. عمر قال إنه يعرفه، ولو كان يعرف أي شخص آخر، لشجعته. حكايتنا لا تحتاج روائياً موهوباً. تحتاج فقط لشخص لديه الشجاعة لنقلها بأمانة، وعمر قال إنه فعل ذلك من قبل مع أبيه. خوفي كله كان تراجع عمر عن فكرة نشر الحكاية، وهو ما كاد أن يفعله بعد سفري، لكني أرسلت أهدده أني سأنشر القصة بالإنكليزية إن لم ينشرها هو. وغالباً لأنه لا يعرف غير فشير هذا، فقد أعطاها له. على أي حال، المهم هو حكايتنا لا حكاية فشير.

■ لكن في النهاية اخترتما روائياً من حقه العبث فنياً بالحكاية وعدم التزامها من أجل الفن، هل التزم فشير الحكاية؟

أعتقد أنه التزمها أو حاول الالتزام. على العموم، هو أرسل لنا المسودة، أنا وعمر، وتناقشنا سوياً فيها وأدخلنا تعديلات عديدة لأنه أحياناً أخطأ في فهم مشاعري وما كان يدور في رأسي، أو عمر هو الذي أخطأ في نقل هذه المشاعر له. لكني راجعت كل هذا وأرسلت له التعديلات واحترمها كلها.

■ هل كان فشير مخلصاً لحكايتكما؟ ما رأيك في روايته/ روايتكما؟

أظن ذلك، لكن ما لفت نظري ليس الإخلاص أو عدمه، بل كيف أصبحت قصتنا رواية عندما وضعت تفاصيلها معاً. الحقيقة أني حين قرأتها، فوجئت. الويك إند الذي قضيته مع عمر كان لطيفاً، وأراحني نفسياً وجسدياً وساعدني على الخروج من مصر، كأني غسلت جسمي وروحي مما علق بها أثناء هذه السنوات. لكني لم أنظر لهذا الويك إند باعتباره رواية، لم أشعر بأنه رواية إلا عندما قرأتها «على بعضها»، وبالترتيب وبالمزج الذي قام به فشير. ومن ساعتها وأنا أسأل نفسي كم مرة عشت ما يمكن أن يصبح رواية ولم ألاحظ. وكم شخصاً يعيش تجارب تصلح للرواية، لكنها تظل حبيسة تجربته الشخصية؟ ربما يحتاج كل منا لروائي يصاحبه في حياته ويأخذ منها لقطات يضعها مع بعضها في إطار يخرج ما فيها من جمال ومن ألم ومعنى كي يراه هو نفسه. قد يحتاج كل منا أن يكون روائياً، ولو حتى بينه وبين نفسه، وهو ينظر إلى حياته وتفاصيلها. قد يجعل هذا الحياة أجمل، أو حتى أكثر احتمالاً.

■ ألا تشاطرينني الرأي بأن فشير أعطى بعداً سوداوياً للحكاية؟ أليس للثورة نقاط مضيئة أم أنّ ألعاب الروائي أضافت هذه السوداوية لأسباب فنية؟

تقصد عمر؟ فشير لم يفعل شيئاً أكثر من تنقية الحوار وإضافة بعض الوصف الذي حكاه له عمر كي يفهم مغزى الحوار بيننا. الذي أعطى الحكاية بعدها السوداوي هو صديقي عمر السوداوي الكئيب اليائس. هو الذي يسود الحكاية في وجهه ووجه من يحب. قلت له ساعتها إن حكايته منشئة للحكاية لا مجرد مرآة لها وغالباً لم يفهم. سخر مني وهي علامة عدم الفهم عادة. حاولت أن أفهمه أنه عندما لا يرى سوى الكوارث في كل حكاية، فإنه يحول هذه الحكايات إلى كوارث حقيقية. في كل موقف فتحة، في كل حائط ثقب. هناك وسيلة لتسلق أي عائق أو الالتفاف حوله. إذا وقفت أمام الجدار وصرخت أنه يسد طريقك وأنك مقضي عليك لا محالة، ثم انهرت بكاءً على الأرض، فإنه بالتأكيد سيقضي عليك. إذا وقفت وتأملت الجدار وبحثت عن وسيلة للتعامل معه، عن فتحة أو ثقب أو عتبة أو سلم أو طريق التفافي أو نفق أو أي شيء، أكيد فرصك في النجاة ستزيد. عمر يلجأ إلى البكاء والنوم والاستسلام للاكتئاب والإغراق في وصف الجوانب البشعة لواقعه التعيس. وأنا معه في أن واقعه تعيس، لكن وسط كل هذه التعاسة ـ وسط كل هذا الهراء ـ هناك طرق التفافية وسلالم وعتبات وفتحات، وعليه البحث عنها. وهذا ما حاولت فعله في حكاياته كلها. حاولت أن أعيد كتابتها له أو أغير في نهايتها، لكن اليائس لا يفهم مهما شرحت له. هنا نعود لسؤالك الأول: النوم أحياناً . التجاهل . هو الحل مع اليائس حتى يفيق من يأسه أو يزهق. أسلوب عمر السوداوي أيضاً أيام خرائية حلها النوم (والنصح، والزعيق).

■ برأيك، ما الذي جذب فشير كروائي إلى حكايتكما، رغم أنه يرى «أنّ عدد الذين يعتقدون أن قصصهم تستحق النشر أكبر بكثير من عدد القراء الذين يشاطرونهم الرأي»؟

لو كنت مكانه وجاءتك رواية جاهزة للنشر تحمل اسمك، فهل ترفض؟ لعله يشعر بالملل، لعله ليس لديه ما يقوله، لعلنا قلنا ما يجول بخاطره، لم لا تسأله؟

■ ألم يشجعك ظهور الرواية ونجاحها على العودة إلى روايات فشير السابقة؟ وهل يمكن أن يستكمل عز حكايتك فى رواية أخرى؟

أنا لا أقرأ أي روايات عربية الآن. كما قلت لعمر، أريد أن أغسل كل هذه الفترة. أقرأ روايات كتبت بلغات أخرى، وأعيش بعيداً عن مصر – لفترة، حتى أعود – وأقرأ أشياء لا علاقة لها بمصر أو العرب. أريد أن أغسل روحي كي يمكنني العودة من جديد، كي لا أصبح جزءاً من هذا الهراء الذي أوقن أنه سيزول. وساعتها قد أدعو فشير للكتابة عني من جديد.

■ هل لا يزال لديك أمل في العودة إلى مصر؟

سأعود، قطعاً، حين يفيق عمر من نومه، وحين تنكسر موجة الهراء الحالية. حين نعود إلى الاعتراف بأن العقل زينة وأن الجهل خيبة، لا العكس. حين نعود للاعتراف بأن المنطق له فائدة . أن اثنين زائد ثلاثة يساوي خمسة، وأن الشيء لا يكون نفسه ونقيضه في الوقت نفسه . وأن الهبل مضر بأصحابه. حين نعود إلى الاعتراف بأن الأشياء لها أسباب وأن تغييرها يحتاج لوسائل. حين نعود للاعتراف بأن الخرافات لا تفيد.

■ ألا تخشين في حال العودة، من الاتهام بخدش الحياء، مما ظهر بوضوح في الرواية؟ فشير مجرد ناقل حكايات كما يقول في روايته؟

هذا جزء من الهراء الذي ساد البلاد. حين يكون خدش الحياء تهمة وازدراء الأديان تهمة والمساس بهيبة مؤسسات الدولة تهمة والتعليق على

> **أحمد ناجي يرى أن كتابة فشير كتابة ذهنية، وشخصياته في «كل هذا الهراء» أحادية، وأنه كاتب إصلاحي لا ثوري**

أحكام القضاء تهمة، لا نكون في دولة بل في قسم شرطة. وأنا لن أذهب للقسم مرة أخرى. كفاية ما ضيعته من وقت في هذا الهراء.

■ لكن أحمد ناجي المتهم بخدش الحياء، يرى أن كتابة فشير كتابة ذهنية، وشخصياته في «كل هذا الهراء» أحادية، وأنه كاتب إصلاحي لا ثوري، وأنه لم يكتب روايتكما أنت وعمر، بل رواية إحباطه من إصلاح المؤسسات؟

أنا لا أعرف هذا الشخص ولا أفهم لم زجّ به فشير في روايتنا، ولا أعرف كيف يعطي شخص لنفسه الحق في الكتابة عن أناس لا يعرفهم. لكن هذا جزء من الهراء الذي تركته خلفي ولا أريد إضاعة وقتي فيه.

■ رواية فشير السابقة «باب الخروج» أعطاها عنواناً فرعياً «رسالة علي المفعمة ببهجة غير متوقعة». يرى بعضهم أن البهجة لم تكن إلا في العنوان فقط، بينما هو مولع بالديستوبيا؟!

لا أعرف، ولست مهتمة في الحقيقة بولعه. لكن مصر في ديستوبيا حقيقية، لا تحتاج هي الأخرى لروائي كي يبرزها.

■ فشير نفسه ـ كاتب روايتكما ـ سافر إلى أميركا، هل التقيتما؟ تناقشتما في الأوضاع؟ هل وجه لك أي نصائح؟

لا لم نلتق. هو يدرس في مكان ما وسط الغابات في الشمال الشرقي. أنا في واشنطن، قلب الحدث ـ قلب المؤامرة النابض.

■ من موقعك في قلب المؤامرة النابض، هل تتابعين الأوضاع في مصر؟

أتابعها يومياً أكثر من مرة. أدخل على مواقع صحيفتين، ربما ثلاث أو أربع مرات، واتصفح فايسبوك وتويتر، وأتابع ما يحدث وما يقوله الناس، لكني لا أشاهد التلفزيون قط، ولا في أميركا بالمناسبة. كلما تابعت، شعرت بأن مصر ومن فيها يرحلون في الاتجاه المعاكس للتاريخ. حتى عمر وأصدقاءه. كأن لعنة ما أصابت الجميع، حتى الذين ثاروا في يناير ونادوا بالحرية والمساواة ارتد كثير منهم إلى ترهات لا تصدق.

■ لماذا يظن بعضهم أن المصريين ليسوا مهيئين لممارسة الديمقراطية؟ أو باختصار كما قال بعض المسؤولين أثناء ثورة 25 يناير (But When?)؟ يرى آخرون أنه لا يجب الحديث عن الديمقراطية، بينما نحن مشغولون بمعركة ضد الإرهاب فما رأيك؟

لا أحد مهيأ لممارسة الديمقراطية. الممارسة هي الطريقة الوحيدة للتعلم. البلاد التي سارت في هذا الدرب، سارت فيه بخطوات. لم تكن ديمقراطية أميركا – عند الثورة الأميركية – عظيمة، لكنها تحسنت مع الوقت، ومع وجود عيوب وردات متكررة. ونفس الشيء في كل البلاد الديمقراطية. لكن الممارسة تتحسن والقواعد تترسخ وتتطور مع الوقت. المجانين فقط هم من يظنون أن النظم الديمقراطية تولد كاملة. لا شيء في العالم يولد كاملاً. المجانين فقط هم الذين ينتظرون – أو يطالبون – بديمقراطية كاملة وفورية، أو يستبعدون إمكانية قيامها لأننا لسنا جاهزين لديمقراطية كاملة وفورية.

■ أخيراً، هل لديك رسالة للثورة أو اليائسين ممن هم على شاكلة عمر فخر الدين؟

صلاح جاهين قال: يأسك وصبرك بين أيديك وأنت حر/ تيأس ما تيأس الحياة راح تمر. وأضيف أنه في الحالتين، لا أحد يهمه أمرك، لا أحد ينتظرك، فقرر بنفسك كيف تريد لحياتك أن تكون.

■ هل أنت متفائلة؟

أنا موقنة بأن مصر ستنفض عن نفسها هذا الهراء، بطّ وين؟

لمتابعة أهل مفيد على مواقع التواصل، راجع موقعنا

الكتابة من خلفية دبلوماسية

أبوه الروحي الشاعر محمود درويش، منه تعلم كيف تكون اللغة كاشفة. أما أساتذته في الرواية، فكثيرون، ربما كان ماركيز أبرزهم. منه تعلم أن تكون الجملة الأولى للعمل مثل «رصاصة» حتى لا ينشغل القارئ بالحدوتة بقدر انشغاله ببناء العمل الفني وتقنياته وشخوصه. السرد التقليدي بالنسبة إليه خداع للقارئ. منذ البداية، يكشف له ما يريد أن يقوله، لكنه يراهن بعد ذلك على «المتعة» باعتبارها غاية الكتابة الكبرى. عز الدين شكري فشير (1966) ليس فقط روائياً أصدر سبع روايات، وصلت اثنتان منها إلى جائزة «بوكر»: «غرفة العناية المركزة» إلى القائمة الطويلة في الدورة الأولى للجائزة، و«عناق عند جسر بروكلين» إلى القائمة القصيرة (2011). هو أيضاً أستاذ للعلوم السياسية، ودبلوماسي عمل في الخارجية المصرية لسنوات، قبل أن يطلب الحصول على إجازة مفتوحة، وهو أيضاً محلل سياسي، وكاتب مقال. سافر إلى أميركا للعمل في إحدى جامعاتها أستاذاً للأدب العربي منذ عام «لأن الملل كان يقتلني في القاهرة» كما قال.

التعدد إذاً أبرز سماته، لكنه يؤمن «بأن مقعد الروائي أهم بكثير من مقعد السياسي». على مستوى الكتابة، نجد أنفسنا في كل رواياته أمام حدث، يتعدد رواته. يقول: «كل يرى حسب زاوية نظره، وموقعه، بل حسب انعكاس الضوء، وحسب الوقت الذي تنظر فيه إلى الحدث». روايات بلا بطل رئيسي تقريباً. خطوط البطولة التي يحفظها السرد التقليدي لا يمكن البحث عنها في أعمال فشير... من وجهة نظره، «لا أحد يلعب دور البطولة من البداية إلى النهاية، وليست هناك حكاية واحدة في الحياة. هناك حكايات عديدة، لكل منها أبطالها ولكل حكاية زاوية وأبطال وتفاصيل».

أعماله الأخيرة، يراها بعضهم متشائمة، أو تعبيراً عن ديستوبيا مصرية، لكنه، شخصياً، متفائل لأنه على اقتناع بأن ما جرى من تغيير حقيقي وعميق لا يمكن هزيمته. يوضح: «لنرَ ما جرى في فرنسا 68. لم يحكم الشباب، بل جاء ديغول في شبه انقلاب عسكري. لكن الثورة أعادت صياغة المجتمع. ما جرى في أميركا أيضاً في الستينيات، لم يرحل نيكسون، ولكن حركة الشباب أيضاً غيّرت أميركا، قضت على سياسة الفصل العنصري. هذا النوع من التغيير لا يمكن الوقوف في وجهه. ولكن التفاؤل محكوم بالعمل الجاد»!